النزعة النقدية الثقافية عند مدرسة فرانكفورت

براديغمات: الإنسان- الثقافة- الفن

Cultural Criticism at the Frankfurt School

pradygem: Human - Culture - Art

د/توفيق شابو

Toufik chabou

جامعة البليدة2

الملخص:

لا مندوحة فيه أن إسهامات مدرسة فرانكفورت، أو ما اصطلح عليه لاحقا بالنظرية النقدية بثوابتها ومتغيراتها،قد أرست للجهد النقدي للتحليل الثقافي، الذي لا يكاد ينزاح من منجزها الفكري والفلسفي، وان تقاطع هذا الجهد مع العديد من النظريات والأطروحات الفلسفية والنقدية السابقة عنها أو المجاورة لها تاريخا. منه نحاول تحليل الخلفيات النظرية والفكرية، و الطرائق المنهجية، التي أسست للمنظور الثقافي لدى هذه المدرسة، وذالك من خلال استكشافها لطرق جديدة في نقد الإنسان، والمجتمع، والثقافة،والأنظمة السائدة وفق تركيبة فكرية ومنهجية معقدة، وهو ماقعّد للدراسات الثقافية اللاحقة.

الكلمات المفتاحية: مدرسة فرانكفورت؛النظرية النقدية،التحليل الثقافي؛الإنسان؛الفن؛صناعة الثقافة.

Abstract:

The Frankfurt School (critical theory) is the name given to a group of German intellectuals around the Institute of Social Research founded in Frankfurt in 1923.

In this article, we illuminate an angle, that of the relationship between the critical theory of the Frankfurt School, and these cultural approaches. Even on these theoretical perspectives of understanding to the historical social movements, and the question of the relation between the social movements and the cultural space apart from the criticism of the instrumental reason and its ultimate domination until these philosophical and sociological approaches of the media and these studies on culture and art. Contributed to the effort of cultural analysis.

Keywords: Frankfurt School; Critical Theory, Cultural Analysis; Human; Art; Culture Industry.

*** *** ***

توطئة:

يمثل مشروع مدرسة فرانكفورت مرتكزا رئيسيا في التأسيس لفلسفة نقدية بديلة، كانت تهدف إلى تحرير المشروع الثقافي الغربي من يقينياته ومسلماته، من خلال تصورات هذه المدرسة حول الإنسان و التغيرات الاجتماعية، وتأثيرات الثقافة على مستوى التاريخ، والواقع الاجتماعي. يضاف إلى ذلك إسهاماتها في حقل الجمالية والفن. وهو ما يمثل نوعا من مواجهة الواقع بشكل جريء ومفتوح من جهة، ومن جهة ثانية يعكس الطموح الفكري لأقطابها الذين تعاقبوا على أكثر من جيل، في خلق بدائل فكرية ومنهجية للتحليل السياسي و الاجتماعي والثقافي، فرغم القاعدة الفكرية الماركسية التي كانت منطلقهم الرئيسي، فإن ما ميزهم هو تنويع مصادرهم الفكرية والفلسفية، وانفتاحهم على فروع معرفية وعلمية متعددة كالفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، واللغة والأدب، والفن. مما جعل من الناقد ***لوكاتش*** يصف هذه المدرسة "بفندق الهاوية الكبير" نظرا لتعدد أطرها النظرية وتشعّباتها المنهجية.

مدرسة فرانكفورت وتأسيسيات المنظور النقدي:

إن مصطلح مدرسة فرانكفورت- والذي عرف لاحقا بالنظرية النقدية -يمثل تاريخا المؤسسة البحثية التي تأسست في مدينة فرانكفورت بألمانيا في بداية العشرينات، والتي عرفت "بمعهد البحث الاجتماعي" وقد ضمّت مجموعة من المفكرين والباحثين في مختلف الفروع المعرفية، وامتدت زمنا عبر تعاقب أجيال من المفكرين في السير بأطر النظرية قدما، وتحويل مسارات اشتغالها، وتعديل أطروحاتها حتى باتت مرجعا فكريا لعديد من الدراسات والحقول المعرفية المتشعّبة. و قد كانت البداية لحظة صياغة بيانها الأول من قبل ***فيليكس فايل*** ثم تبعه ***كارل غرونبيرغ*** الذي عمل المعهد في عهده على دراسة مشاكل الطبقة العاملة في ألمانيا وأوروبا، وعرف المعهد بعدها تحولا جذريا على يد ***ما كس هوركهايمر*** مع مجموعة من المنظّرين، أبرزهم ***ثيودور أدرنو وهربرت ماركيوز***، حيث عمل المعهد في فترتهم على تطوير نظرية اجتماعية منفتحة على جميع الفروع العلمية ،مع محاولة خلق تواشج بين الفلسفة والعلوم الاجتماعية، وتعديل آليات المنهج الماركسي

وبعث روح جديدة فيه. وبعد صعود النازية إلى سدّة الحكم، هاجر معظم أعضاء المدرسة خارج أوروبا، نظرا لخلفياتهم اليهودية وماركسيتهم الراديكالية، وتم إلحاق المعهد بجامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية إلى غاية 1949، وهو تاريخ عودة المعهد إلى فرانكفورت وعرف بمسمى "النظرية النقدية". "حيث اتسمت النظرية النقدية بتعدد الاختصاصات المعرفية مشككة في التقاليد والمزاعم المطلقة، مهتمة ليس فقط بالكيفية التي عليها الأمور، وإنما بالكيفية التي يمكن أن تكون الأمور عليها، أو يجب أن تكون عليها[1] ومنه فقد تشكّل نقد المشروع الثقافي الغربي من خلال فلسفة نقدية بديلة داخل الحلقات الأكاديمية الغربية، تركز على هدم اليقينيات التي ارتكز عليها الفكر والفلسفة الغربية، كمحاولة لتغيير المشهد الفكري عبر تجديد منهجياته وتصوراته عن الإنسان والحياة، وكذا تفكيك الإشكاليات المعقدة في المجتمعات المعاصرة. "وهي ممارسة نقدية تقوم على تقييم الفكر وإفرازات الحداثة الغربية "فلقد قامت النظرية النقدية منذ نشأتها بنقد جذري لمشروع التنوير بما هو رمز للحداثة الغربية"[2]. ولقد تبلورت هذه الأفكار في سياق خسوف الاشتراكية وضعف مثالية الفلسفة وصعود التيار النازي، و تمثل كلها تحولا على مستوى الفكر والواقع، لذا سعت المدرسة إلى كشف الطابع التناقضي للواقع وهو "مشروع يتجه نحو انغلاقية المجتمع تحت أشكال التصنيع [3] أي المجتمع الذي سيطرت عليه العقلانية الأداتية وإفرازاتها لأشكال جديدة للسيطرة ،حيث تحول هذا العقل من السيطرة على الطبيعة إلى السيطرة على الإنسان، وهكذا اتجهت أطروحات المدرسة إلى محاولة البرهنة على أن "عقلانية المشروع الثقافي الغربي في جوانبه الثلاثة: كنتاج نظري علمي، وكنظم اجتماعية تاريخية، وكنسق قيمي سلوكي، تؤلف كلها أيديولوجية شمولية تهدف إلى تبرير التسلط وجعله عقيدة [4] .

يعد المهاد الماركسي في تعامله مع القوى الاجتماعية والفكرية والثقافية السائدة في عصر من العصور، الأرضية التي انطلقت منها مدرسة فرانكفورت في توفير الإطار النظري والمفاهيمي للنظرية الاجتماعية، "والقول جزافا بتشكّل هذه النظرية داخل الإطار الماركسي، إلا أن هذا التوجّه كان مركّزا على منهجها النقدي أكثر من تركيزه على ادعاءاته التنظيمية [5]"فقد انطلقت المدرسة من مراجعة الإرث الفلسفي، و المرجعية الماركسية في

كليتها وتحويل آلياته المنهجية وجهة أكثر إجرائية، من خلال نزعة نقدية للمجتمع، والأنظمة والإنسان. فمدرسة فرانكفورت حاولت تطوير نظرية اجتماعية متعددة الاختصاصات تركز على التحولات الاجتماعية عبر مسار التاريخ وتحليل وضعية الراهن الاجتماعي والثقافي عبر آليات منهجية تعتمد مقاربات تركيبية بين الفلسفة من جهة، والتعاضد بين علم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد السياسي من جهة أخرى. وهو ما يعد انفتاحا منهجيا جديدا، في وقت أفرغت المناهج النقدية من التوغل داخل البنية الاجتماعية إلا بما توفره من تحليلات نظرية مثالية، ترتكز على خلفيات فكرية سابقة جعلت من السجال الفلسفي وتفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية تراوح مكانها. فالنظرية النقدية حاولت أن تكوّن نظرية عامة عن المجتمع مدفوعة بالرغبة في التحرر، "خاصة حين أدرك ممارسوها أن ظروفا اجتماعية جديدة من شأنها أن تنتج أفكارا جديدة وأن طبيعة المنهج النقدي لابد من أنها تتغير جنبا إلى جنب مع جوهر التحرر [6]"وتحت هذه المسوّغات نأت مدرسة فرانكفورت عن الأفكار الفلسفية التأملية، بغية إيجاد منهج بديل يركز على الإجراء من جهة، ومن جهة أخرى محاولة الانفتاح بالافتراضات الفلسفية على فروع معرفية وعلمية أخرى، وهذا ما حدى برواد المدرسة التوغل في جوهر الحياة الإنسانية وتعقيداتها، وتفكيك المنظومات المؤسساتية المتحكمة في مصير الإنسان ومستقبله. فلم يكن نقدهم للعقل الأداتي الذي أعلت من شأنه فلسفة الأنوار إلا مسارا جليّا في الانعطاف بالجهد التحليلي، ليس فقط بغية تغيير واقع مادي وعقلي فحسب، بقدر ما هو اتجاه نحو تغيير مسلمات الأنوار وكشف زيف ادعاءاته الطوباوية .

يمثل جهد أقطاب المدرسة في الانفتاح على علوم مختلفة دليلا على محاولة فهم الظواهر الاجتماعية والثقافية، وقد تمثّل هذا الجهد في ربط التحليل الماركسي بالتحليل النفسي، وتوسيع الأطروحات الفرويدية لتفسير الوضع التاريخي للطبقات الاجتماعية والموقع الطبقي للفرد والأسرة. فقد "حاول ***إيريك فروم*** إقامة علم نفس اجتماعي ماركسي تندمج فيه نظرية فرويدية معدّلة، خاصة في نموذجه عن الشخصية الاجتماعية .[7]" وتواصلت هذه الاهتمامات بالمناقشات حول الحرية والسلطة والأوجه الثقافية للمجتمع الحديث، خاصة فيما يتعلق بتكوين الأفكار والمواقف، ودور الأسرة ودور المؤسسات الاجتماعية الأخرى في خلق شخصية استبدادية،هذه الأخيرة هي ما فتحت النقاش لمنظري

المدرسة في مرحلة المنفى حول موضوع معاداة السامية وتفسير مسائل التحيّز من جوانبه الذاتية والنفسية. وهي محاولة للربط بين الظواهر السيكولوجية وتغيراتها، وبين شروطها التاريخية والاجتماعية .كل هذا أهّل لتيار مدرسة فرانكفورت من تأسيس فلسفة اجتماعية مغايرة، تركز على نقد الوضعية والنزعة العقلانية العلمية التي فتحت المجال أمام ظهور أشكال جديدة من التقنية التي ميزت الرأسمالية والمجتمعات الصناعية. وأصبحت العقلانية التقنية كقوة مجردة تشكل مجتمعا يقع خارج النطاق البشري، وفتحت مجالات التقنية صعودا قويا للأيديولوجيا كنسق هيمني جعلت من معارضته من قبل منظري مدرسة فرانكفورت صدّا لعواقبهما الاجتماعية والثقافية. ومن هنا لا تصبح الثقافة في عرف مدرسة فرانكفورت مستقلة عن حركة التاريخ والمجتمعات بقدر ما تصبح هي من نجاتهما إن سلبا أو إيجابا. لذا فان "نقد الثقافة في مفهوم مدرسة فرانكفورت لا يعني نقد الثقافة بتبيان جوانب قصورها، بقدر ما يعني النقد الذي ينطلق من المفهوم الأساسي للثقافة، ومنه نقد كل شيء يتسم بالوضاعة والانحطاط ومن ثم يعتبر مناهضا للثقافة[8]. ومنه فان تركيزهم على الوضع الإنساني ومدار المجتمع داخل هذه الثقافة المنتجة تاريخا واجتماعا، هو محاولة تخليصها من براثن القوى المسيطرة ومحاولة تحريرها من وظيفتها الموجهة إلى وظيفتها الجمالية التي تضمن إحلالا للعقل الجمالي مكان العقل الأداتي المهيمن .

لقد أرست مدرسة فرانكفورت جدارا مانعا أمام مد الفلسفات المثالية والوضعية وجددت من النقد الماركسي وحركت صنميّته، أهلها للتكيّف مع إشكالات حياتية جديدة، خاصة بعد اقتحامها مجالات علم الاجتماع والتربية، واللغة والفن، وعلم النفس. وعبر تتبع مسارات التأسيس نحاول الوقوف على أهم الأطروحات والتحولات المنهجية التي صاحبت أبرز منظري مدرسة فرانكفورت، وهو مسار يعكس طبيعة الانفتاح على العلوم والتوسع في الولوج إلى إشكاليات إنسانية واجتماعية معاصرة، يعكس بحق المرونة النقدية والتحليلية لدى رواد هذه المدرسة في كنه لأهم التحولات التاريخية للعالم المعاصر، ونظرة استشرافية حول صيرورة التاريخ الإنساني وأزماته المستقبلية، قياسا على

تفكيكهم للتاريخ نفسه، بدء من الوضع الجديد الذي أرست قواعده أفكار التنوير، وصولا إلى إفرازات الحداثة الغربية وتمظهراتها في الوقت المعاصر .

منهج النظرية النقدية: مسارات التحول و الانفتاح :

ارتكزت الخطوط المنهجية الأولى لتوجه معهد البحث الاجتماعي التأسيسية في مذكرة إنشاء المعهد التي تقدم بها ***فيليكس فايل*** سنة 1922 إلى القائم على جامعة فرانكفورت" بتركيزها على معرفة وفهم الحياة الاجتماعية في مجملها .[9]"لقد مثل هذا الصرح التوجهات الموسّعة لهذا المركز بتركيزه على البعد النظري والفكري بعيدا عن أية روابط سياسية أو حزبية، وحتى حين تواترت قيادة المعهد الى ***كارل جونبرغ*** المؤرخ الماركسي بصفته أول مدير للمعهد فقد توضّحت اتجاهات المعهد المنهجية، في محاضرته الافتتاحية التي جاهر فيها بمعاداة النظام الاجتماعي والاقتصادي السائد، وهي إشارة لخطاب يساري "تحجج فيه ***جونبرغ*** بأن هذه الإشارة لا ينبغي فهمها بمعنى حزبي سياسي، بل بمعنى علمي تحديدا " [10]وعليه فقد صاغ ***جونبرغ*** إشاراته المنهجية متعاطفة مع النظرة الماركسية، و متماشية مع طرح ***فيليكس فايل*** عن جوهر الحياة الاجتماعية، بتركيزه على الجوانب الأكثر واقعية في هذه الحياة وذالك بدراسة وعرض حالة حركة الطبقة العاملة ومتابعة المسائل الاجتماعية والاقتصادية الأساسية. وما يمكن الإشارة إليه أن هذا التوجه اليساري القائم على تفسير الوقائع الاقتصادية لم يكن حسب الأوساط العلمية "توجها منهجيا للمعهد بقدر مكان مجرد حيلة ترتبط أساسا بكسب التعاطف لحظة افتتاح المعهد مما تكفل له الاعتراف الأكاديمي [11]"وما يفسر هذا الادعاء هو ابتعاد المعهد عن أي دور تحريضي داخل الحركات الطلابية اليسارية، بمعنى أن المعهد كان يحافظ على خطه العلمي دون خلطه بأي خط سياسي .وغير بعيد عن هذه المرحلة وحفاظا على تجاوز الأفق النظري لأي مدير بعد مرحلة ***جونبرغ*** فقد تم صياغة فروع رئيسية ترتكز عليها دراسات المعهد حتى لا يحيد عن مبادئه الرئيسية وعليه فقد "تم إنشاء الفروع التالية: أولا: المادية التاريخية والأساس الفلسفي للماركسية. ثانيا: الاقتصاد السياسي النظري. ثالثا: مشكلات الاقتصاد. رابعا: وضع البروليتاريا. خامسا علم الاجتماع. سادسا: تاريخ المذاهب الاجتماعية [12] "ومثلت هذه الفروع الإطار النظري العام لبحوث المعهد وعدّت بمثابة الحقل الموسع بين التحليل الفلسفي والتحليل الاجتماعي، وهما الخطّان الرئيسيان اللذان سارت عليهما النظرية

النقدية لاحقا في بلورة مفاهيمها حول الإنسان والمجتمع والاقتصاد والتاريخ. و من هذه الأسس "أرسى المعهد منهجيا للدراسات الاجتماعية بتحديد حقل دراستها ومنهجها ونتائج أبحاثها [13]"ويمكن اعتبار سنة 1930 التحول من النظرة الاقتصادية التي مثلها سابقا ***كارل غوينبرغ*** إلى الوجهة الفلسفية تحت إدارة ***ماركس هوركهايمر*** أستاذ الفلسفة والفلسفة الاجتماعية، و تمثل هذا التحول بدء من محاضرته الافتتاحية المعنونة ب: "الحالة الراهنة للفلسفة الاجتماعية والمهام الخاصة بمعهد البحث الاجتماعي". وهو ما يمثل التصور العام للفلسفة الاجتماعية بوصفها التفسير الفلسفي لمصائر البشر ليس باعتبارهم أفراد بل كأعضاء في جماعة. ومنه حاول ***ماركس هوركهايمر*** التركيز على منهج بديل ومغاير عن المنهج الهيجلي القائم على أن أساس العالم والتاريخ هو الروح، وعن المنهج الماركسي المبتذل القائم على أن البنيات الاقتصادية الفوقية والتحتية مجرد مرآة عن الاقتصاد. "فقد أسس ***هوركهايمر*** منهجا يرتكز على التفاعل الجدلي بين الواقع المادي والواقع العقلي والتعقيدات النفسية التي ينبغي كشفها [14] "يمثل هذا التحول انعطافا مهما حين نأى ***ماركس هوركهايمر*** عن دراسة الأساس الاقتصادي باعتباره تصوير مهم للواقع الاجتماعي، بل انفتح على علم النفس والفلسفة كبدائل للمنظور الاقتصادي، ليصبح المكوّن السيكولوجي ضرورة في النظرية الاجتماعية -وان جرى إرجاء التعمق فيه لاحقا- مقابل التركيز على الفلسفة الاجتماعية التي فسحت المجال أمام ظهور علم للمجتمع، مما جعله مرتكزا حاسما داخل أبحاث المعهد. لقد فتح ***ماركس هوركهايمر*** إمكانيات البحث الواقعي بتشخيص الصلات المتبادلة بين القوى الاقتصادية والأفكار والبُنى النفسية للبشر، وهي محاولة التملّص من الضوابط النقدية والمنهجية السابقة، وفتحا جديدا في دراسة وتحليل المجتمع والواقع. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ارتكزت مقومات الاتجاه النظري والتحليلي في فترته على إبراز العلاقة بين مختلف مجالات الثقافة المادية والعقلية، بل حتى في القوانين التي تحكم تغيّرها، وهي مقاربة التحليل الاجتماعي وربطه بفروع المعرفة المختلفة. وهذا ما يمثل الإرهاصات الأولى لوضع نظرية للمجتمع المرتكزة على التحليل المادي التاريخي للمجتمع. وعليه يمكن القول أن مرحلة ***هوركهايمر*** " شكلت اهتماما بالبنى الفوقية الثقافية بعدما كان مهتما في المرحلة الأولى بتحليل البنى

الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع البرجوازي [15]"،وكلها اشتغالات قعّدت للمنظور التحليلي العام ومثلت خارطة طريق في الفلسفة الاجتماعية التي أعيد تثوير آلياتها من جديد لمواكبة تحولات المرحلة وحاجات الوضع الاجتماعي.

لم يكن ***ثيودور أدرنو*** بعيد عن النقاشات الفلسفية الدائرة داخل معهد البحث الاجتماعي ، فلقد فتح خطا في مجال الجماليات في واقع تهيمن عليه المؤسسة البورجوازية بإفراغها للمحتوى الفني العالي، وما يمكن تسجيله من توجهات ***أدرنو*** هو أنه لم يدر ظهره للفلسفة باعتبارها آلية تحليلية ونقدية بقدر ما كان ينتقد الفلسفة في وضعها الراهن آنذاك والتي أفرغت من وظيفتها ودورها الثوري "فهو يرى أن الفلسفة أمست فكرة فوقية لا تتعامل مع الحقبة المتأزمة التي يعيشها العالم [16] وعليه فقد تأسس الفكر النقدي ***لأدرنو*** قياسا على نقد الفلسفة ذاتها منطلقا من وضع الإنسان الاستلابي، الذي يعد نتاجا للمثل الفلسفية المنهارة، ومنه ينطلق ***أدرنو*** خارج ذاتية الفرد نحو تحليل التداخلات المؤسساتية المتحكمة في كينونته وهو توجه صريح نحو التحليل المادي لواقعه.

تمثل إذن الانعطافة الاستطيقية لدى ***ثيودور أدرنو*** أبرز محطات اشتغاله النقدي، وهو ما يمكن اعتباره تحليلا معمقا لأفق الرؤية المتبصرة لرهان الثقافة المجتمعية ،ومنه فإن صرح الجماليات التي دأب ***أدرنو*** على تأسيسه ينطلق أساسا من النتاج الثقافي في كليته، ويبرز هذا الاتجاه جليا في المراحل اللاحقة من حياة ***أدرنو*** خاصة في مرحلة النفي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبارها مرحلة كرّست رؤيته نحو المجتمع الاستهلاكي وعملياته اليومية ،ومنه فقد فتح بابا نحو المنظور الجمالي قياسا على دور الفن في المجتمعات الاستهلاكية بغية كشف آليات اشتغال الثقافة داخل هذه المجتمعات "كون النشاط الثقافي المعاصر هو نتاج من نتاجات المجتمع الصناعي والتقني الذي تغدوا الثقافة فيه ثقافة سلعية مستوعبة [17]"وهذا الكشف يتساوق مع الخط النقدي لمدرسة فرانكفورت المرتبط أساسا بكشف علاقات سلطوية بمنتجاتها الموجهة والتي غالبا ما تتجاوز النتاج المادي إلى النتاج القيمي لتسلعيه قصد تسويغ مزيد من الهيمنة ،ومن هنا برز اتجاه **أدرنو** واضحا "نحو التحليل النقدي للثقافة كمعطى فكري عام للمجتمعات الصناعية ومن تم تتبع نبضاتها الفرعية كالأدب والموسيقى والفن لتكوين نظرية نقدية جمالية [18] "وهو توجه عام عكسته أطروحات مدرسة فرانكفورت في نظرتها للمجرى

الحتمي للتاريخ الذي أعيق مساره أمام معوقات وسائل الإعلام الجماهيرية، بحيث فقدت الجماهير(الطبقات العاملة) هويتها، وخفتت رغبتهم إلى الثورة، وقلت حاجتهم إلى التغيير حين استدرجوا إلى ثقافة استهلاكية وانغمسوا في ملذات المتعة والتسلية الزائفة، وتم تدجين عقولهم بوسائل الإعلام الشعبية التي قتلت أي روح للإبداع والخلق، بل الأدهى من ذالك أن حولت هذه الكتل الاجتماعية إلى مجرد كيانات منمذجة .

يمثل ***هاربرت ماركوز*** عصبا رئيسيا في التوجه النقدي لمدرسة فرانكفورت، وإن كان يتفق مع سابقه **أدرنو** في نقده للفلسفات المؤسساتية، فإن جهوده ارتكزت على مسارين رئيسيين: أولهما ظهر في كتابه "العقل والثورة "وهو بحث يمثل تفسير التاريخ السابق للفلسفة، ومنه تفسيره ونقده للفلسفة الوضعية، حيث أراد أن يتخذ من هذه الأفكار أداة تتيح له العبور إلى الطريق الذي لا تنقطع روابطه بتراث الفلسفة والفكر السابق، "وربما كان يريد أن يجعل من ذالك الماضي كله وسيلة لتبرير فلسفته واثبات أن التاريخ يشير إليها ويتجه نحوها [19]"أما المسار الثاني فقد مثله كتابه" الإنسان ذو البعد الواحد" وهو تحليل لوضعية القرن العشرين، حيث يحلل فيه كيف أن" المجتمع الصناعي بأساليبه وآلياته التقنية يسيطر على الانسان بنفس أساليب الإدارة المحكمة التي يسيطر بها على عملية الإنتاج وتترتب على هذه السيطرة أنواع من الاغتراب العقلي والثقافي.[20] "لا يمكن إذن فصل الجهد التنظيري ***لماركيوز*** عن المسار العام لتوجه مدرسة فرانكفورت المرتكز على نقد وتجديد الآليات الفلسفية التحليلية، وتفكيك البنيات المجتمعية وإبراز دور المؤسسات في خلق الوضعيات الاستلابية للإنسان المعاصر، .ومن خلال هذه المرجعية مثل **ماركيوز** نموذج الفيلسوف القادر على تفسير المفاهيم الفلسفية والوضعيات الاجتماعية،" فقد كان له منهجه الخاص في النظر إلى التراث السابق عليه وأعاد بناء هذا التركيب من منظوره الخاص وفسر الأفكار والمذاهب وفقا لنظرته الخاصة الى العالم الذي يعيش فيه [21]"

لا يمكن الحديث عن مدرسة فرانكفورت دون التعريج على أحد أقطابها الرئيسيين ألا وهو ***يورغن هابرماس***، باعتباره رمزا يقف على إرث العصر النقدي، وهو بدوره إرثا من

الأفكار و جسرا تواصليا بين رواد مدرسة فرانكفورت، وهو بهذا الجهد يحافظ على الخط الفلسفي النقدي الذي تأسست عليه المدرسة رغم بعض تعديلاته الموضوعية لاحقا لنقديات سلفيه ***ثيودور أدرنو وماكس هوركهايمر*** من موقفهما التشاؤمي من أطروحات التنوير، رغم هذا فإن ***هابرماس*** يتميز بميزتين رئيسيتين أولهما: استيعابه للإرث النقدي لفلاسفة المدرسة، وثانيهما: تعديلاته و فتحه لمغالق كانت بعيدة عن البحث النقدي القديم، مكنه من بناء نظام إبستيمولوجي فلسفي " فلقد كوّن **هابرماس** تأسيسه الفلسفي الضخم من خلال دراساته الموسعة للأصول الفلسفية العالمية وتياراتها أرست لقاعدة فلسفية انطلق منه مشروعه النقدي وبذالك فانه يجاوز في الدفع بالنظرية النقدية خاصة في ما يتعلق بظاهرة الاستيعاب للوعي الجماعي من قبل المؤسسات الرسمية التي لا تكف عن تطوير مناهجها العلمية والتقنية [22]"فهو لم يحد عن تبصّرات المدرسة حول مسألة "العقلنة التقنية" للمجتمع التي يرى أنها "ترتبط بمأسسة التقدم العلمي والتقني بالقدر الذي يخترق فيه كل من العلم والتقنية المجالات المأسسة للمجتمع .[23]"وهذا الهاجس المؤسساتي الذي عكف عليه **هابرماس** يكاد لا ينزاح عن الأطروحات السابقة التي حركت قضاياه مدرسة فرانكفورت وخاصة العقل الأداتي. فهو يعتبر "أن الشكل العقلاني للعلم والتقنية أي العقلانية المتجسدة في انساق العقل العقلاني يتوسع مداه ليصبح شكلا وكلية تاريخية [24]"لكن **هابرماس** حاول الانعطاف نحو أفق أكثر شمولية ضمن ما يعرف بالنظرية النقدية التواصلية، وهو وضع فرضته راهنية الواقع الجديد الذي اختلفت فيه سياقاته عن السياق الذي ظهرت فيه أول مرة، فالعالم أصبح أكثر انفتاحا، وتوسع معه دور المؤسسات وإيديولوجيتها تماشيا مع المتطلبات الاجتماعية والسياسية الجديدة باختفاء أنظمة وظهور أنظمة أخرى، واختفاء إيديولوجيات وظهور أخرى، مما يعني تحول دور المؤسسات ووظيفتها -وان شكلا- رغم محافظتها على بنيتها الرئيسية في السيطرة والهيمنة .

لقد حاول ***يورغن هابرماس*** بلورة مشروع جديد للعقلانية الأوربية، متجاوزا أفكار التنوير الأولى القائمة على مبادئ السلب والاستعلاء والنزعة الاستعمارية، وتهميشها للثقافات المختلفة . وانطلاقا منه، فقد أعاد ***هابرماس*** " استكشاف مسار العقلانية في آفاقها النظرية، وإلغاء مركزية الفهم الذاتي للعالم والتي تقيم من نفسها نموذجا مطلقا

تقاس عليه النماذج غير المعترف بها خارج المشروع الثقافي الغربي، مع إبقائه الباب مفتوحا أمام العقل التواصلي بين الأفراد والجماعات كسبيل الى اكساب الحرية مضمونا حياتيا إيجابيا يطلقها من أسر الإعلام الموجّه، والاستثمارات الطبقية والبيروقراطية[25]"

وعليه يعتبر مشروع **هابرماس** مشروعا موسعا وشاملا ومنفتحا على باقي العلوم والمعارف، وقد أسعفته عدّته الفلسفية والسوسيولوجية في المزاوجة بين التحليل الفلسفي والطابع السوسيولوجي للنقد، وهو الخط الذي ابتدأه سلفه **هوركهايمر** ووجد شكله الموسع لدى **هابرماس** في تحليلاته للظاهرة الاجتماعية وتفكيكها. فهو يقرّ أن "الفلسفة لا تكون ذات معطى إيجابي فيما لو انحصرت داخل حدودها الذاتية فنمط التفكير الفلسفي بمقدوره الاستمرار والديمومة بفضل سوسيولوجيا نقدية جدلية تدرس الواقع بعد استخلاص تنظيرات لعناصر تجريدية [26] "تعكس هذه الفكرة تراجع الفيلسوف بالمعنى التقليدي فاتحة المجال أمام نمط جديد من الاشتغال الفلسفي القائم على عمليات نقدية مرتبطة بالراهن الاجتماعي.

براديغمات: الانسان– الثقافة – الفن

المجتمع المدار كليا واستلابية الوضع الإنساني:

يمثل كتاب ***هربرت ماركيوز*** **"الانسان ذو البعد الواحد** "مرجعية رئيسية في تحليل طبيعة المجتمع وتعقيداته، حيث يدلل على أن الطبقتين الرئيسيتين في المجتمع الرأسمالي ويقصد بها البورجوازية والبروليتاريا قد اختفيا بوصفهما وسائط تاريخية فعّالة، فلا توجد طبقة سائدة، وإنما يتم التسلط عبر العقلانية العلمية التقنية، ولا توجد طبقة معارضة لأن الطبقة العاملة تم استيعابها من خلال عملية الاستهلاك والإنتاج الموجه .فالمجتمعات المعاصرة تمثل بما يمكن أن نسميه بمجتمعات الصناعة والتقنية جعلت من الفرد داخلها خاضع لهيمنة وسيطرة تلتبس بلباس العقلانية ،تكبل من قدرة الفرد على الاحتجاج أو المعارضة داخل أشكال الرفاه التي يوفرها لهم " فالتقدم التقني يرسخ دعائم نظام كامل من السيطرة وهذا النظام يوجه بدوره التقدم ويخلق أشكالا للحياة تبدو وكأنها منسجمة مع نظام القوى المعارضة وتبطل بالتالي جدوى كل احتجاج باسم الأفاق التاريخية. [27]يصبح المجتمع داخل هذه التركيبة مجتمعا أحادي البعد كونه

مجتمعا يتمظهر متناسقا متجاوزا أي شكل من أشكال التناقض ، وكل هذه الدعاوي في حقيقتها هي دعاوي ملتبسة، بعيدة عن الحقيقة كون ما يضمن تلاحمه الوهمي- بتوفيره كل أشكال المتعة والرفاهية- هي في الحقيقة من قبيل الصناعة التي تهيئ مجتمعا مدارا كليا عبر وسائلها الإنتاجية التي تفضي في النهاية إلى خلق إنسان ذو بعد واحد، وتصبح الحرية الحقيقية بالنسبة إليه مجرد وهم. فحرية اختيار السلع والمنتجات الخدمية تبطّن سيطرة ضمنية على هذا الفرد كونه يختار ما هو معد له سلفا. فأيّ مجال للحرية إذن إذا كان ما يعرض عليه من منتجات هو من اختيار المؤسسات الإنتاجية الصناعية لا من اختياره الفردي. "في مثل هذا المجتمع يميل جهاز الإنتاج إلى أن يصبح كليا بمعنى أنه يحدد الحاجات الفردية في الوقت نفسه الذي يحدد فيه النشاطات والمواقف والقابليات التي تستلزمها الحياة الاجتماعية [28]"داخل هذا الطرح يفرق **ماركيوز** بين الحاجات الحقيقية و الحاجات الكاذبة التي تكبل الفرد وتعيق من حريته، بل تجعل منه أداة للإخضاع والتبعية، "فالحاجات التي تنتجها الدوائر الصناعية ما هي إلا حاجات كاذبة، بحيث تبرر عملا شاقا وتبرر للعدوانية والبؤس والظلم تحددهما قوى خارجية ومثل هذه الحالات لها وظيفة ومحتوى اجتماعي، ليس للفرد عليها من رقابة وتطورها وتلبيتها رهن بإرادة خارجية [29]يندرج هذا المعطى في تحليل **ماركيوز** لدور الوسائط التكنولوجية في تشييئ الإنسان وسلعنته، بعد أن أصبحت القوة الكلية المتحكمة في العصر وتاريخه ومجتمعاته وثقافته هي التقنية، وبذالك لا يمكن النظر إلى التكنولوجيا بوصفها أداة للسعادة أو أداة للتحرر بل أصبحت أداة للسيطرة ومزيد من الاضطهاد لأن منطقها هو منطق التسلط والهيمنة تخدم حاجات القوى المسيطرة أكثر من خدمتها لحاجات الفرد وتطلعاته. "فالحق انه كلما أصبحت إدارة المجتمع الاضطهادي عقلانية منتجة، تقنية وشاملة، تعذر على الأفراد تصور الوسائل الكفيلة بتحطيم أغلال عبوديتهم ووصولهم إلى حريتهم [30]"وعليه فالحضارة الصناعية أنتجت وضعا توتاليتاريا وصفها **ماركيوز**" بالطابع العقلاني للاعقلانية كون هذه الحضارة منتجة قادرة على زيادة الرفاه وتعميميه تعمق من وضعية الأفراد الاستلابية وضياع هويتهم الذاتية "فالناس يتعرفون على أنفسهم في بضائعهم ويجدون جوهر روحهم في سياراتهم وجهازهم التلفزيوني وفي بيتهم الانيق وأدوات طبخهم الحديثة. [31]"ويعرّج **ماركيوز** في نقده للوضعيات الاستلابية للمجتمعات الصناعية

على دور الثقافة في دمج الواقع الثقافي بالواقع الاجتماعي عبر الوسائط الاتصالية، لتصبح الثقافة معطى سلعي انجرّ عنه تحويل الفرد إلى أداة إخضاع، وتحويل الثقافة المتعالية نفسها إلى تركيبة تجارية سلعية، تعمل على توجيه المجتمع والفرد نحو بعد واحد عبر عمليات التسيير والتنظيم العلميان للمجتمع، حيث أفضى إلى انكماش البعد الداخلي للفكر وهكذا يتكون الفكر والسلوك الأحادي البعد.

صناعة الثقافة و المصالحة الزائفة:

يعد مصطلح صناعة الثقافة من أكثر المفاهيم ارتباطا بالنظرية النقدية، ويعكس هذا المصطلح اهتمام المدرسة بالظواهر الثقافية ومنتجات الوعي البشري، خاصة في تحليلاتهم للوضعيات الثقافية في المجتمع الاستهلاكي، الذي قوّض من قدرة الفرد الإبداعية بأن أدرج داخل سياق استهلاكي سلعي .وهو نوع من تحليل علاقة الثقافة بالمجتمع وبالأجهزة المؤسساتية . وهي محاولة للبرهنة على أن ثقافة الجماهير تصبح متطابقة في ظل الاحتكار، وتتفسخ نتيجة اندماج الثقافة مع المتعة، ومنه يصار إلى أن الثقافة كصناعة تصبح نهجا تقليديا في التأثير في الناس والتلاعب بعقولهم . يطرح كل من **ماكس هوركهايمر وثيودورأدرنو** في عملهما المشترك "جدل التنوير" الخطوط العريضة لتحليلاتهما للثقافة الجماهيرية وصناعة الثقافة عبر المؤسسات الإنتاجية، فلقد توسع النشاط الثقافي حسبهما عبر الدوائر المنتجة بأن جعل هذا الوضع من الثقافة سلعة قللت من روح الابداع الفردي، بل انعكس سلبا على القدرة على الإبداع والتفكير، الذي أضحى أكثر من قوالب جاهزة حين صيغت الثقافة في شكل من أشكال الصناعة على يد شركات الإنتاج ودور النشر ووسائل الإعلام، كان من لها تأثير بأن جعلت الناس يتقبلون ويقرون بنظام اجتماعي كبت اهتماماتهم الأساسية ونظرتهم المستقبلية" فلا فرق بين العقلانية التقنية وعقلية السيطرة على الذات.[32]"تتماهى إذن كل من العقلانية العلمية وعقلانية السيطرة في خلق وضع جديد داخل المجتمعات المعاصرة، لتنتج ذوات آلية ومركبة وفق متطلبات القوى الصناعية المنتجة لمصالحها، دون اعتبار لأدنى شروط الأنسنة ،أي تكريس مزيد من الهوة الفارقة بين إنسانية الإنسان وأي مكون مادي من مكونات الإنتاج الصناعي، وتقتل أي روح داخل الانسان طبيعته النفسية. "في أيامنا لا حاجة لخيال المستهلكين ولا لعفويتهم،

ففي هذه الثقافة لا مجال للعودة الى آليات نفسية، فالمنتوجات بذاتها قد تآلفت بحيث تصيب هذه الآليات بالشلل .[33] "تعمد إذن كل ظاهرة من ظواهر الصناعة الثقافية إلى إعادة إنتاج الناس طبقا لنماذج الصناعة ككل، ومنه يصار إلى فقدان الهوية الذاتية وضياع الفرد داخل نموذج موحد، يتواتر إنتاجه وفق متطلبات القوة الاجتماعية المسيطرة على وسائل الاتصال الجماهيري. "لقد تجاوز التمايز المحافظ من الناحية الثقافية بين أسلوب أصيل وأسلوب مصطنع [34]"فلقد عمدت انتهاكات الفن الأصيل إلى قتل القدرة الخلاّقة لدى الأفراد، ووضعهم ضمن شكل استلابي، بات معه الفن الأصيل مجرد بهرجة إنتاجية ،قتل فيه الفوارق الإبداعية وأصول التمايز والتفاوت، فلا حديث عن القيم داخل مجتمع استلابي تؤطّره ثقافة معدة سلفا طبقا لحاجات أيديولوجية وسياسية، واجتماعية، تكشف عن كثير من العدوانية والحيف، مما يجعل فعل السيطرة فعلا مشروعا بأدوات عقلانية، تندمج داخل الممارسات الاجتماعية، حتى تصبح جزءا منه ،لدرجة أنه يصعب مقاومتها ، وتحت هذا الوضع "تضل الصناعة الثقافية تمارس سلطتها على المستهلك بواسطة التسلية التي ينتهي بها الأمر لا بمجرد إملاء بل بالعدوانية، وبفعل تحول كل نزعات الصناعة الثقافية في لحم الجمهور ودمه بمساعدة مجمل الصيرورة الاجتماعية [35]أي بتفاعلاتها وتداخلاتها مع بعضها البعض.

يربط كل من ***أدرنو وهوركهايمر*** الزيف الأيديولوجي المؤدي إلى السيطرة في الصناعة الثقافية التي تتمثل في" الخطاب التجاري وعبارات عبثية بل شكل هذا كأداة سيطرة بقوة ومنهجية [36]"وبذالك تبرز الأيديولوجية داخل الثقافة لاستخداماتها الأداتية ،فيصار إلى أن المجتمعات الرأسمالية تتخذ من الثقافة لتعمق بقاءها وتبعد أي تغيير اجتماعي، بل تتجاوز بأن تحاول تعميق الهوة بين حقيقة الحياة وزيفها .وحالة الزيف هذه مؤداها كثير من الازدراء للطبيعة البشرية التي تصبح مجرد هويات فارغة وتسوغ تبعا لذالك لكثير من الاضطهاد والقسوة باسم التقدم والمدنية،" فالحضارة المصنّعة تبرز الشروط الوحيدة التي تسمح لنا أن نعيش فيها حياة عديمة الشفقة. [37]"إن الشقاء الإنساني يصبح سخرية بتغليفه داخل صيغ المتعة والتسلية والملذات، وهي وضعيات استلابية تجعل من البشر مجرد أدوات تتماهى مع طبيعة الثقافة المصنوعة وتحول هذه الذوات إلى صورة تستجيب لمنعكسات شرطية معدة سلفا .

لقد شكلت الصناعة الثقافية جزءا حيويا من ميل المجتمع الرأسمالي إلى خلق احتياجات الناس ورغباتهم وإحداث تحول فيه، لدرجة أنه "أمست لديهم رغبة في الخبث الذي صنع من اجلهم وانزوت الرغبة في عيش حياة مرضية ومجدية [38]"لقد وسم منظرو مدرسة فرانكفورت هذه الحالة "بالمصالحة الزائفة" حيث تترتب على "الاعتقاد بأن العالم الاجتماعي عالم عقلاني ومفضي إلى حرية البشر وسعادتهم ويتعذر تفسيره بينما في واقع الأمر هو يفتقد للعقلانية ويعوق حياة البشر وسعادتهم وهو عرضة للتغيير. [39]"ويرتكز هذا التشاؤم لدى أقطاب مدرسة فرانكفورت لمشروع التنوير ونماذج الصناعات الثقافية في أهدافهما المزيّفة، حيث يجتمعان في مصب واحد ألا وهو الهيمنة والسيطرة وإلغاء إنسانية الإنسان .حيث مثل هذا الربط لدى كل من **هوركهايمر** و**أدرنو** نقدا مبطنا للفلسفة التنويرية وعقلها الأداتي فالصناعة الثقافية تمثل أبرز نموذج عن التراجع الذي أصاب العقل. "فالثقافة أصبحت مثلها مثل سائر المصنوعات، حيث أدت إلى ظهور تقنية الإنتاج والتوزيع، أما أثر ذالك على المستوى الفكري فقد تجلى في تشكل أيديولوجية تضخم الكينونة الاجتماعية والسلطة القائمة التي تتحكم في الشكل التقني لهذه الثقافة [40]" .فالنظرية النقدية قياسا على هذا تقدم فهما يرتكز على عدم الوقوع الإنسان في أفكار جاهزة وسلوكات تفرضها وتقترحها عليه مؤسسات هشة، حيث تمثل الصناعة الثقافية أبرز نموذج عن التراجع الذي أصاب العقل.

الفن والعقل الجمالي: يركز **ثيودور أدرنو** في طرحه الجمالي انطلاقا من نقدياته للعقل الأداتي الذي أعلت من قيمته فلسفة التنوير، وما انجر عليه من استعمال هذا العقل في تخريب القوة الإبداعية للفرد وخواء في القيمة الحقيقية للأشياء، "وهو ما يمثل انعطافا بمجال الجمالية من المجال الاجتماعي إلى المجال الثقافي من خلال إبراز علاقة الفن بأدوات الاتصال واشكال السلطة في المجتمع [41]"فلقد أصبحت عمليات التقدم مرتبطة باستخدام مزيد من القدرة في التحكم والتسلط عبر وسائل التقنية تحت مسميات تطوير الحياة الإنسانية، مضمرة أشكال مختلفة من الهيمنة تسلب الإنسان حريته ووجوده الطبيعي، لذالك خلص **أدرنو** إلى أن "الفن كممارسة هو ضرورة على المستوى الأنطولوجي للخروج من أسر العقل الأداتي والعقل التماثلي السائد لأن الفرد يتحرر ويمارس حريته

في الفن. [42]"تبرز الحداثة إذن كمعمل مناف للأسس التي ارتكزت عليها في الارتقاء بالإنسان إلى مزيد من الحرية والانعتاق، بأن أصبحت حالة شكلية مفرغة من قيمها النبيلة. لذا فقد "أرسى **أدرنو** حداثته الاستيطيقية على ضوء انحطاط اللغة وابتذال التواصل في خضم الحداثة الأداتية [43]"والحداثة بهذا المعنى تأسس لوضع تصبح فيه المعرفة سلطة في يد من يملك أدوات السيطرة ولا مجال بذالك إلا لمزيد من التسليع وهو المأزق الذي ارتآه منظرو مدرسة فرانكفورت كعطب في مسميات الحداثة الغربية، ف**أدرنو** ينطلق في تشخيص أزمة الحداثة انطلاقا من نقده للعقل الأداتي حيث "تنهار معه مقولات الصراع والوعي الطبقي كما تسقط مقولات التغيير والممارسة ،فلا يلوح أي أمل للتقدم والانعتاق والتحرر [44]"فالطرح الفلسفي للتنوير قد وسع من وظيفة العقل الأداتي، فبعد صياغته للقوانين الطبيعية وتفسيرها علميا أفضى به إلى التحكم في الطبيعة، ومنه التحكم في الإنسان ذاته، وأصبحت علاقات الإنسان داخل هذا الوضع علاقات منفعية هيمنية "فالعقل الذي تحمس له فلاسفة التنوير قد ارتبط بالسيطرة في سياق التطور التاريخي من خلال بعدين البعد الأول تمثل في السيطرة على الطبيعة، أما البعد التاني فتمثل في السيطرة على الإنسان [45]وبذالك انعكس مفهوم السيطرة من التوجه إلى الطبيعة وإخضاعها إلى الارتداد نحو الانسان ذاته للسيطرة عليه ومنه يمكن القول" أن تاريخ السيطرة على الطبيعة هو تاريخ سيطرة الانسان على الانسان [46]وكان من نتاج هذا التحول العملي في العقل الأداتي أن موضع الإنسان داخل أنظمة قهرية بدء من أجهزة الإنتاج والأجهزة الأيديولوجية والإدارية ،وصولا إلى جوهر القيم التي حلّت محلها قيم الاغتراب والتشيّؤ أدت إلى مزيد من أشكل الهيمنة، مما جعل أقطاب مدرسة فرانكفورت يقفون موقف التحليل لأشكال اشتغاله الخفية والمعلنة. فالعقل الذي كان أداة لسعادة الإنسان حسب الطرح التنويري أصبح أداة لشقائه في الوضع المعاصر، ولا سبيل للتحرر من هذا العقل إلا بإحلال وضع مغاير ارتآه **أدرنو** في العقل الجمالي وأساليب الفن المختلفة. "فالفن حين يتجاوز الواقع المباشر فإنه يحطم التشيّؤ في العلاقات الاجتماعية ويفتح بعدا جديدا للتجربة الإنسانية [47]"إن غاية الفن حسب هذا الطرح تصبح ندّية لأشكال التزييف الواقعي وأشكال الأيديولوجيات التي حورت الواقع لغاية مصلحية، جعلت من الذوات الإنسانية ذوات خاضعة لقراراتها وأهدافها المسطرة سلفا.

فالعقل الجمالي كقوة مقاومة يخول للإنسان من اكتشاف ذاته عبر طاقاته الإبداعية نحو أفق أكثر تحررا وانعتاقا، وإحلال أوضاع اجتماعية أكثر سعادة. وعليه فغاية **أدرنو** من تفسير الوضعيات وطرحه للبدائل كان يهدف غايتان، أولهما إحلال البعد التحرري في الأشكال الفنية و الإبداعية بعيدا عن الدعوات الماركسية للبعد الثوري التحرري المفرغة من محتواها، والتي تخلت عن طابعها أو فقدت قدرتها التحررية خاصة مع ما شهده الوضع آنذاك من صعود الفاشية والنازية وسحق الطبقات العمالية وفشل الثورات. وثانيا هو إحلال العقل الجمالي مقابل هيمنة العقل الأداتي بمعنى إحلال الحقيقة الفنية مقابل زيف الواقع وحقائقه المغلوطة .

تمثل أطروحة **أدرنو** عملية ربط بين الفن والنقد الاجتماعي للعالم المعاصر، كون الفن ذو بعد تحرري في خلقه لمعادل موضوعي لعالم جمالي مقابل عالم واقعي مغلق ومهيمن عليه من قبل المؤسسات ومنه وبما أن" **أدرنو** يبدي اهتماما بأعمال أدبية كبيرة ومميزة وهو نوع من النزوع نحو الدفاع عن الفن ضد الهيمنة [48]"يصبح الفن قوة مقاومة للشكل السلعي الاستهلاكي، والهوية السلعية للذات .وتجدر الإشارة إلى أن الفن المقصود بهذه الغاية هو الفن البعيد عن توجهات المؤسسات الرسمية المنتجة له، فالفن المقاوم عند **أدرنو** هو قوة تحررية تخالف منتجات المؤسسات السلطوية المؤدلجة لأنماط التفكير والسلوك، أي الفن الزائف الذي يؤدي إلى مزيد من تنامي القوة الاستهلاكية، ومنه فإن غاية الفن هو الابتعاد عن هيمنة الرؤية الرسمية له، وتصبح نظرة **أدرنو** للفن وفق هذا المعطى هي نظرة للنتاج الثقافي في كليته وبالتالي هي جزء من نظرته للثقافة في كليتها،بمعنى ثقافة تتمتع باستقلالية عن الأدلجة الرسمية المنمطة ،وثقافة مقاومة للهيمنة والسيطرة على قوة الخلق والإبداع .

خاتمة:

ارتبط المشروع النقدي لمدرسة فرانكفورت كرهان ثقافي على نقض المشروع الغربي في كليته والتي أرست له قيم التنوير، ويركز هذا المشروع على إيجاد بدائل فكرية ومنهجية تتوغل في الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، عبر تعددية في طرق التحليل وانفتاح على المشارب الفكرية والفلسفية، فلقد أبرزت جدليتاهم الفكرية على المستوى الفلسفي

مناقضة الفلسفات الوضعية، ومحاولة تعديل من المرجعية الماركسية التي باتت في نظرهم آلية متآكلة أمام الأوضاع التاريخية الجديدة، ومنها انطلقوا في نقد العقلانية الأداتية في فكر التنوير، وأبرزوا الهيمنة في العقل التنويري الذي استعمل كأداة في التحكم في الطبيعة ومنها التحكم في البشر، وربطوا العلاقات الاجتماعية بأشكال مادية تبطن إيديولوجيات زائفة، مما جعلت الإنسان مقيد العقل تحت وضع استلابي، مصادر من حريته ومقيدا بكثير من القيود والمعوقات. أما في مجال الجماليات فقد حاولت مدرسة فرانكفورت تحليل النتاج الثقافي في كليته والتجربة الجمالية، بمعارضتهم للعقل القمعي بإبراز الوظيفة الجمالية ومعارضة ما يلحق بها من تشويه واغتراب، مركزين على التحليل الاجتماعي والثقافي لهذه الانتهاكات بغية الوصول بالذات الإنسانية إلى تحرر فعلي لطاقاتها الإبداعية والتخيلية .وكذا محاولين تجاوز الراهن الاجتماعي والثقافي نحو إيجاد بدائل مغايرة تضمن للمجتمع استقلاليته وللفرد حريته وهويته .

الهوامش:

-1- ستيفن ايريك برونز: النظرية النقدية مقدمة قصيرة جدا؛ ترجمة سارة عادل؛ مراجعة مصطفى محمد فؤاد؛ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة؛ الطبعة الأولى؛ القاهرة مصر؛ الصفحة 09.

-2كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى إكسيل هونيت ؛ الدار العربية للعلوم ناشرون؛ الطبعة الأولى؛ بيروت لبنان؛ 2010 الصفحة11

jean marie vincent la théorie critique n pas dit son dernier mot lyon France 2005 p 51.- 3

-4-توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت؛ ترجمة سعد هجرس؛ مراجعة حافظ ذياب؛ دار أويا للطباعة والنشر؛ الطبعة الثانية ؛طرابلس ليبيا؛ 2004؛ الصفحة 20

--5 ستيفن ايريك برونز: النظرية النقدية؛ الصفحة 10

6- المرجع نفسه؛ الصفحة 51

-7-توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت ؛الصفحة52

-8-ريتشارد وولين: مقولات النقد الثقافي مدرسة فراكنفورت الوجودية مابعد البنوية ؛ترجمة محمد عناني؛ المركز القومي للترجمة؛ الطبعة الأولى؛ القاهرة مصر؛ 2016 الصفحة12

-9 فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية؛ ترجمة خليل كلفت؛ المشروع القومي للترجمة؛ الطبعة الثانية ؛القاهرة مصر؛ 2004 الصفحة21

-10 المرجع نفسه ؛الصفحة 23 .

11 -المرجع نفسه؛ الصفحة 25.

-12المرجع نفسه؛ الصفحة26

Mario Hirch l'école de francfort une critique de la raison instrumentale revu l'homme -13
et la société volume 35 n 01paris 1975 p 116.
14 -فيل سليتر: مدرسة فرانكفورت نشأتها ومغزاها وجهة نظر ماركسية؛ الصفحة 36.
-15 - توم بوتومور مدرسة فرانكفورت الصفحة 59.
-16-علاء طاهر: مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماز؛ مركز الإنماء القومي؛ الطبعة الأولى؛ بيروت لبنان؛ د/ت الصفحة 67
-17 -المرجع نفسه؛ الصفحة 69-
-18 -المرجع نفسه؛ الصفحة نفسها
-19 -فؤاد زكريا: هربرت ماركيوز؛ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر؛ القاهرة مصر؛ 2004 الصفحة 64 -
20 -المرجع نفسه؛ الصفحة 21-
-21 - المرجع نفسه؛ الصفحة24-
22 -علاء طاهر: مدرسة فراكنفورت من هوركهايمر إلى هابرماز؛ الصفحة 81
23 -يورغن هابرماس: العلم والتقنية كإيديولوجيا؛ ترجمة حسن صقر؛ منشورات الجمل؛ كولن ألمانيا ؛2003الصفحة.54
-24 -المرجع نفسه؛ الصفحة 59-
25 - تووم بوتومور؛ مدرسة فرانكفورت الصفحة 24
-26علاء طاهر: مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماز؛ الصفحة 92
-27هربرت ماركوز: الإنسان ذو البعد الواحد ؛ترجمة جورج طرابيشي؛ منشورات دار الآداب؛ بيروت لبنان؛ الطبعة الثالثة 1988 الصفحة 28.
-28المرجع نفسه؛ الصفحة 32.
-29المرجع نفسه؛ الصفحة41
-30 -المرجع نفسه؛ الصفحة- 42
ا31- المرجع نفسه؛ الصفحة45
-32-ماكس هوركهايمر ثيودور أدرنو: جدل التنوير شذرات فلسفية؛ ترجمة جورج كتورة ؛دار الكتب الجديدة المتحدة؛ الطبعة الأولى ؛ بيروت لبنان 2006 الصفحة 14
33 -المرجع نفسه؛ الصفحة 48
-34 -المرجع نفسه؛ الصفحة 151 -
35 -المرجع نفسه؛ الصفحة 159-
36- المرجع نفسه؛ الصفحة 174-
37 -جيمس جوردن فينيليون: يورغن هابرماس؛ ترجمة أحمد محمد الروبي؛ مراجعة ضياء داود؛ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ؛ الطبعة الأولى 2015 الصفحة 23
-38 -المرجع نفسه ؛الصفحة نفسها

-39حسن مصدق يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى بيروت لبنان 2005 الصفحة 49
-40 -المرجع نفسه؛ الصفحة24
-41-رمضان بسطويسي محمد: علم الجمال لدى مدرسة فرنكفورت أدرنو أنموذجا؛ مطبوعات نصوص؛ الطبعة الأولى؛ القاهرة مصر1990 الصفحة 27
42 -المرجع نفسه ؛الصفحة 59
-43 معزوز عبد العالي: أدرنو ضد هابرماس بين الحداثة الجمالية والحداثة التواصلية؛ مجلة الفكر العربي المعاصر؛ مركز الإنماء القومي؛ عدد 48-49 سنة29 بيروت لبنان خريف 2009 الصفحة 98
44- المرجع نفسه؛ الصفحة 100.
-45 مجموعة مؤلفين: ثيودور أدرنو من النقد إلى الإستطيقا مقاربات فلسفية ؛إشراف وتقديم كمال بومنير؛ منشورات الاختلاف ؛ الطبعة الأولى الجزائر2011الصفحة 22
46 -المرجع نفسه؛ الصفحة نفسها.
47 -المرجع نفسه؛ الصفحة28
48 -المرجع نفسه؛ الصفحة 135.

*** *** ***